

مهمة الداعية : لننعرف على مهمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين يعد الداعية خليفة لهم في دعوتهم . ووظيفة التنفيذ-1 والتطبيق . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الوظائف الثلاث في دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لربهما بعد فراغهما من بناء البيت : { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (البقرة : 129) , أو ما يعبر عنه في المصطلحات الدعوية المعاصرة التكوين ، وإحداث تغيير جذري ومتوازن في حياتهم . " . وقد ترد إلى أذهاننا بعض النصوص القرآنية التي تحصر وظيفة الرسول في البلاغ المبين فقط دون سواها من الوظائف ، قوله سبحانه: { وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (التور : 52) . والإجابة عن هذا الوارد أن هاتين الآيتين وأمثالهما من الآيات التي جاءت في نفس المعنى وردت في سياق إعراض الناس عن الدعوة ، فقد ربطت قصر وظيفة الرسول على البلاغ بشرط وهو إعراض من وجهت لهم الدعوة ، وفي قوله تعالى: { إِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ } (الشورى : 45) , فحين يعرض المدعون عن الدعوة لا يكلف الرسل إلا بالبيان والتبلیغ فقط لإقامة الحجة عليهم، يكون المطلوب من الداعي تعليمهم وتزكيتهم، والعمل على تطبيق الدين في حياتهم. وتأكد لنا وقائع السيرة النبوية قيام النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الوظائف الثلاث في دعوته لقومه ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يجتهد في تبليغ رسالة ربه إلى أفراد قومه من خلال الاتصال بهم في الأسواق وأماكن جلوسهم وأماكن الشعائر في موسم الحج، فيجتمع بهم في دار الأرقمن، فيجتمع بهم في دار الأرقمن، كما خصّص صلى الله عليه وسلم في مسجده بالمدينة مكاناً خاصاً يستقبل فيه من التحق بدعوته من أفراد القبائل العربية في دورات تعليمية تربوية ، ليتحقق الهدف المنشود وهو إحداث التغيير في الأنفس الذي يكون المقدمة لغير الله عز وجل ما بالناس ، فيستطيع نوره ، وإدراك الداعية أن مهمته تشمل هذه الوظائف الثلاث يجعله يسير في الطريق الصحيح، أو لأولياء دفعتهم إلى ذلك. ومنهم من ينتقدنا " . صفات الداعية ومؤهلاته إن كلّ مهمة بحسب طبيعتها تقضي للنجاح في القيام بها أن يكون القائم بها متصفاً بمجموعة من المواصفات، أو مؤهلاً بمؤهلات تمكنه من القيام بها على أكمل وجه، ولا يصلح لمهمة أخرى، فتعجبوا من تعينه ملكاً عليهم رغم أنه لا يملك المؤهلات لهذا المنصب الخطير في نظرهم، والتي تمثل أساساً في أن يكون من أكثرهم ثروة ومالاً، فأخيرهم نبيهم أن المهمة المنوطة به تقتضي مؤهلات ذات صلة بها، فالقائد العسكري يشترط فيه أن تكون له دراية بفنون القتال وقدرات بدنية كبيرة واتصاف ببعض الصفات اللازمة لهذه المهمة، ولا علاقة للنجاح في هذه المهمة بكونه غنياً أو فقيراً. وقد سجل القرآن الكريم لنا هذا النقاش في قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَا نُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالظَّالِمِينَ، وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُوْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ } (البقرة : 244-245) . فركز على صفتين أساسيتين لا بد منها للنجاح في القيام بهذه المهمة، أسهبنا في بيان هذا المعنى، رغم ما يبدو للناظر لأول وهلة بأن هذا الأمر واضح لا يحتاج إلى بيان واستدلال، وذلك بسبب ما يلاحظه الدارس لكتاب فقه الدعوة عند طرقها لموضوع صفات الداعية، واكتفاء بسرد مجموعة كبيرة من الصفات تمثل صفات المؤمنين عامة وليس صفات خاصة يتميز بها رجل الدعوة. فالتناول السليم لموضوع صفات الداعية يقتضي استحضار المهمة الدقيقة له، وقد أشرنا في المحاضرة السابقة إلى أن مهمة الداعية تمثل في القيام بوظائف ثلاث: البلاغ والتزكية والتنفيذ، وكل وظيفة من هذه الوظائف تحتاج إلى نوع خاص من الكفاءات أو المؤهلات أو الصفات، يبعد أن تتوفر في شخص واحدـ باستثناء الأنبياء عليهم السلامـ، بل إنـ من الأنبياء عليهم السلام من كان يرى عدم توفره على بعض المؤهلات التي تقتضيها وظيفة من وظائفه، فسأل الله أن يعينه بمن يملك مؤهلات قوية ذات صلة بتلك الوظيفة، فهذا موسى عليه السلام يسأل ربه أن يشد أزره بأخيه هارون لما يمتلكه من قدرة عالية على البيان يرى عليه السلام أنه لا يمتلكها، كما يدل على ذلك قوله تعالى على لسانه: { وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِي لِسَانًا فَأَرْسَلْتُهُ مَعِي رِدًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَلِّبُونِ } (القصص : 34) . وخلاصة ما نريد قوله في هذا التمهيد أن تناول موضوع صفات الداعية ومؤهلاته ينبغي أن لا يتم بمعزل عن ملاحظة مهمته. وإذا أخذنا بالاعتبار هذه الملاحظة، يمكننا في حديثنا عن صفات الداعية أن نركز على الصفات الأساسية الآتية: 1- المعرفة الجيدة بالإسلام : أول صفة من الصفات الأساسية التي يجب أن يتصف بها الداعية لينجح في القيام بمهامه بوظائفها الثلاث، أن تكون لديه معرفة جيدة بالإسلام. أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أسوة الدعاة ومثلهم الأعلى قبل أن يؤمر بالإذنار والدعوة، أمر أولاً بالقراءة، ثم إن الله عز وجل تولى تعليمه بما يوحى إليه ، وأمره أن يسأله الزيادة في العلم في قوله سبحانه: { وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } (طه : 114) . وتكسبه ملقة تقدر على إدراك كلياته ومقاصده. ف بهذه

المعرفة الجيدة يُعطي الداعية صورة واضحة وصحيحة عن الإسلام للناس، وبها يتمكن من الارتفاع بهم في مدارج الكمال الإنساني وهو يتولى تربيتهم وتزكيتهم بخطوات ثابتة سليمة بعيدة عن كل إفراط أو تفريط، كما يوفق بفضل هذه المعرفة إلى الوسائل والأساليب التي يجعل بها الدين واقعاً في حياة الناس وأعمالهم. كما يمكن أن ندرك دور المعرفة الجيدة بالإسلام من خلال حديث: "يحمل هذا الأمر من كل خلف عدوه ينفون عنه تحريف الغالين وانتفال المبطلين". فالقدرة على معرفة التحريف في الدين والغلو فيه لا تحصل إلا لمن كانت له معرفة دقيقة بالدين في أصوله وفروعه. 2- المعرفة الجيدة بالواقع: إن الهدف من الدعوة في نهايته هو نقل الإنسان فرداً ومجتمعاً من حال يكون فيها بعيداً عن قيم الدين وأحكامه إلى حال يعيش فيها منسجماً مع هذه القيم وأحكامه. ومن المعلوم أن هذه النقلة كما تحتاج إلى معرفة جيدة بمبادئ الدين وأحكامه، باعتبار أن له دوراً في تشكيل فكره ونفسه وسلوكه. وتُبصِّرُ هذه المعرفة الداعية بالتحديات التي تحول دون الاستجابة لدعوته، وتمثل صعوبات لتمثيل قيمها وأحكامها بعد الاستجابة لها، كما أن هذه المعرفة تمكّن من تحديد الأولويات التي ينبغي أن يركز عليها في دعوته، ويعرف كل صغيرة وكبيرة من شؤونهم، واستثماره صلى الله عليه وسلم لتلك المعرفة في دعوته، كما تدلّ على ذلك مواقف كثيرة من دعوته صلى الله عليه وسلم، مثل نهيه لهم عن زيارة القبور وادخار لحوم الأضاحي، ثم إذنه لهم بذلك كله . وتارة ينهى، وتارة يبيح، وتارة يسكت عن الأمر والنهي. كما قيل: إن من المسائل مسائل جوابها السكوت، وكذلك التائب من الذنب، لا يمكن أول الأمر أن يؤمر بجميع الدين ويذكر له جميع العلم، فإنه لا يطيق ذلك. وإن لم يطّقه لم يكن واجباً عليه في هذه الحال. وإذا لم يكن واجباً لم يكن للعالم والأمير أن يوجبه عليه ابتداء، بل يعفو عن الأمر والنهي بما لا يمكن علمه وعمله إلى وقت الإمكان، ولا يكون ذلك من باب إقرار المحرمات وترك الأمر بالواجبات، ويقدم الإمام الشاطبي للداعية ثلاثة ضوابط تعينه على معرفة ما يجب عليه إبلاغه وما يجب عليه إرجاؤه أو تركه، وقد أخبر مالك عن نفسه أنه عنده أحاديث وعلماً ما تكلّم فيها ولا حدث بها، فتنبه لهذا. فانظر مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤدّ ذكرها إلى مفسدة، وإنما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم. وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ، فالسكوت عنها هو الجاري وفق المصلحة الشرعية والعقلية". 3- قوّة الصلة بالله تعالى: يبغي أن يقوى رجل الدعوة صلة بالله تعالى ، حيث يعيش دوماً مع الله تعالى فيما يقوم به من عمل، والتوكّل عليه والإخلاص له. حيث تظهر آثارها في كلام الداعية صدقًا وتفاعلًا بكل كيانه، وفي مواقفه قوّة وثباتاً وصبراً على المساومات والإعراض والأذى، وقد وُجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ الفترة التي سبقت بدأ نزول الوحي عليه إلى توثيق صلته بربه سبحانه، 4- حبّ الخير للناس والاهتمام بصلاحهم في الحال والمال: من أهم الصفات التي تمكّن الداعية من النجاح في مهمته أن يتتجاوز في تفكيره وفي مشاعره حدود الأنماط والذات إلى الشعور القوي بالآخرين وهمومهم ومشكلاتهم، والحرص على خدمتهم، ودفع الضرر عنهم في الحال والمال. وأصل هذه الصفة في نفسه ما يملأ قلبه من شعور بالرحمة والشفقة على عباد الله يرتقي إلى درجة رحمة الأم بولدها. وختاماً برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي وصفه ربّه لقومه بقوله سبحانه: {أَلَّقَدْ جَاءُكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} (التوبه:129)، ويثير هذا الشعور في رجل الدعوة كما أشار النص القرآني تأليماً لما يكون في حياة الناس من آلام ومشكلات سببها الإعراض عن دين الله، وعملاً على تخليصهم مما يعانونه بسلوك جميع السبل الممكّنة ، واستخدام كل الوسائل المشروعة. وقد يكفل هذا الشعور الداعية بذل جهود كبيرة، ثم أخرج إلى ميدان المسجد والسوق والعشيرة والمياطين العامة، وأواسى كل ذي حاجة، مدفوعاً بعاطفة حبّ الناس". 5- الجاذبية الأخلاقية: وذلك لا يكون إلا لمن تخلق بأخلق لا يتمكّن منها عموم الناس ذكر منها: الصدق والأمانة، الحلم والعفو وسعة الصدر، فقال صلى الله عليه وسلم موجّهاً لهم: "إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، فأشار إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن كفوا، فأرسل إليه وزاده شيئاً، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إنك قلت ما قلت ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: مثلي ومثل هذا، كمثل رجل له ناقة شردت عليه، فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها فأخذ من قمام الأرض فردها، 6- صفات عملية: من هذه الصفات العملية نذكر الصفات التالية: